واهمون وواقعيون

الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

منذ ظهور بوادر حتمية وقوع الحرب في العراق، وفي الفترة التي تلت بدأها وخلال وقوعها، راح البعض من رجال الدين والدنيا من مرتهني الإرادة، الشتامين والمداحين بالإجرة في لبناننا المحتل يسوّق بوقاحة لمنطق مريض يقول، أنه لا يحق لنا كلبنانيين المراهنة على أميركا وأنه من الخطر وضع يدنا بيدها، وأن الأخوّة تلزمنا الوقوف إلى جانب سوريا الأسد في دفاعها عن الأمة العربية ومصير المنطقة برمتها. لهؤلاء نقول أن لا مراهنة على أميركا أو غيرها، بل قراءة شفافة ومنطقية لما استجد في أميركا تحديداً وفي العالم عموماً قبل وبعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١، إضافة إلى عمل لبناني سيادي منظم لتغيير موقع القرار الأميركي.

فالتطور الإيجابي في الفكر السياسي الأميركي الخاص بدول الشرق الأوسط ومنها لبنان بدأ عملياً قبل صدمة ١١ أيلول، وذلك بعد أن ثبت بما لا يقبل الشك للمخططين الأميركيين أن تعاملهم مع الأنظمة العربية وتغاضيهم عن مصادرة هذه الأنظمة لحريات شعوبها وقهر إرادتها قد أضر إلى حد كبير بالمصالح الأميركية والغربية وانتج أصولية وتخلف وسلفية وصلت مفاعلها المدمرة إلى داخل المجتمع الأميركي ذاته وإلى باقي المجتمعات الغربية التي تحول بعضها إلى رهائن للإرهاب بعد أن تمكنت المنظمات الإرهابية من التسلل المنظم إلى داخل هذه المجتمعات وتهديدها.

صدمة ١١ أيلول لعبت دور الصاعق للعقل الأميركي وأفهمت من بيدهم تسيير سياسة البيت الأبيض إن الأنظمة الملكية والدكتاتورية والدينية والتوتاليتارية التي حموها وحموا حكامها منذ سنين طويلة من بينها السعودية وسوريا هي التي أنجبت منظمات الإرهاب ومولتها وصدرتها إلى العالم وهي التي تنجب جيلاً سلفياً جديداً . كما توضح للأميركيين أن الخدمات التي قدمتها لهم هذه الأنظمة في مجال محاربة المنظمات الإرهابية كان سلاحا ذا حدين. فالنظام السوري على سبيل المثال لا الحصر الذي، ساعد واشنطن في ملاحقة تنظيم بن لادن وسمح بافتتاح مكاتب للمخابرات الأميركية في دمشق لهذا الغرض وسلم كارلوس لفرنسا وعبد الله أوجلان لتركيا وضرب منظمة الإخوان المسلمين هو نفسه احتضن وما زال منظمات إرهابية كثيرة ترى في أميركا الشيطان الأكبر. من هنا فإن الإرهاب لا يتجزأ وبالتالي لا يوجد إرهاب مقبول وآخر غير مقبول، بل إرهاب مدمر للحضارات والقيم والأنظمة وشرعة حقوق الإنسان، ولكن بأوجه مختلفة من أخطرها الإرهاب الذي تمارسه الأنظمة التي حمتها وما زالت السياسة الأميركية في الشرق الأوسط وفي مقدمها النظام السوري.

من هنا تأتي أهمية الدور التثقيفي الدؤوب الذي يقوم به بصمت العديد من السياديين اللبنانيين داخل الولايات المتحدة وعلى كافة المستويات بدءاً من مجلسي النواب والشيوخ، مروراً بوسائل الإعلام والمؤسسات الفكرية والجامعات، وبكافة مواقع الإدارة الأميركية المعنية وفي مقدمها وزارة الخارجية المسؤولة أصلاً عن سياسة التعامل مع الأنظمة والتخلي عن لبنان السيد المستقل لمصلحة النظام السوري سنة ١٩٩٠. هذه الجهود اللبنانية السيادية المضنية تكللت بتأييد شبه إجماعي من أعضاء مجلسي النواب والشيوخ الأميركيين لمشروع قانون محاسبة سوريا الذي كان جُمِدَ مؤقتاً نتيجةً لبروز العنصر العراقي والذي سيعاد طرحه مجدداً وبموافقة الإدارة الأميركية هذه المرة بعد الانقلاب الإيجابي الذي طرأ على سياسة وزارة الخارجية الأميركية لجهة ضرورة استعادة لبنان لسيادته واستقلاله وانسحاب الجيش السوري من كافة أراضيه.

وكما قال الإعلامي المخضرم الياس الزغبي في الخامس عشر من الشهر الماضي، فإنه لن يكون هناك "نوح" لخلاص النظام السوري، أو أي نظام آخر دكتاتوري أو أصولي في منطقة الشرق الأوسط، بل في الأفق "نوحٌ" لبناني لخلاص لبنان البلد المهيأ بشعبه المتحضر المؤمن بشرعة حقوق الإنسان وبحضارته وتجزره في الديموقراطية والانفتاح وقبول الآخر. لبنان هذا سيعود للعب دوره الريادي كنموذج لتفاعل الحضارات والتعايش بسلام بين الاثنيات والأديان المختلفة.

أن لبنان الغد الحر لن يرى النور على أيدي الطبقة السياسية والدينية المهيمنة حالياً على شؤون وشجون شعبنا المقهور بتكليف من المحتل. لبنان الغد سينبعث رغم كل الصعاب مع الشباب الجامعي حامل لواء الحريات ومع النخبة من القيادات المخلصة التي تمثل القوة الإيمانية والتغييرية التي لم تساوم على ثوابت وقيم الوطن ولا تآمرت يوماً على لبنان وانسانه.

من هنا فإن مقولة المراهنة على أميركا مقولة نردها لأصحابها لأنها بالواقع تعكس وضعيتهم الارتهانية المستمرة منذ سنين والتي شارفت على الأفول إلى غير رجعة. فلولا السياسة الأميركية السابقة وحضانتها للنظام السوري لما تمكنت سوريا من احتلال لبنان، ولما كان واحداً من واجهاتها اللبنانيين وصل إلى ما وصل إليه من نفوذ وثروة وزعامة.

يبقى أن صدمة الحرب الحالية وهي "أبغض الحلال" ضرورة إنسانية لتحرير الحضارة الشرق أوسطية من حالة التقوقع وإخراجها من حالة التحجر لتعود إلى عافيتها التاريخية ولتتمكن من التفاعل مع الحضارة الغربية المتحركة.

٢٠٠٣/٤/١١